

حرية الصحافة في كتابات الراحل براهيم براهيمي من خلال مؤلفه:  
السلطة، الصحافة، حقوق الإنسان في الجزائر

**Freedom of the press in the writings of the late Brahim  
Brahimi through his book: *Power, Press, Human rights in  
Algeria***

د. مزيان ناجية/ جامعة الجزائر3

D. Nadjia Meziane/ University of Algiers3

Nadjia70@hotmail.fr

مقدمة

يعتبر كتاب "السلطة، الصحافة وحقوق الانسان في الجزائر سندا مرجعيا لكل باحث عن الحقيقة وفي كل التخصصات، من سياسة، إعلام قانون، فلسفة، تاريخ وعلم الاجتماع. إن كتاب الراحل البروفيسور براهيم براهيمي عابر للتخصصات، فهو من الدراسات البينية التي تحمل من الحقائق ما كان ذات يوم من المحظورات، بل و يعتبر الكتاب بمثابة وثيقة مرجعية لكل من أراد أن يلتمس حقيقة أحداث العشرية السوداء، هذه العشرية التي شهدت مخاضا عسيرا للصحافة المستقلة التي يناشد المرحوم براهيم براهيمي نشر أخلاقياتها حتى تكون حامي الحريات والحقوق الفردية والجماعية .

يعرض الكتاب تحليلا فكريا عميقا العلاقة القائمة بين السلطة، الصحافة وحقوق الانسان ، لاسيما في الفترة التي تلت مظاهرات أكتوبر 1988، والتأكيد على فرضية أن الصحافة المستقلة التي يناشدها البروفيسور براهيمي من تداعيات أكتوبر 1988.

1-بطاقة تقنية للكتاب: السلطة، الصحافة، حقوق الانسان في الجزائر،  
كتاب لمؤلفه البروفيسور براهيم براهيم ، طبع بالمؤسسة الوطنية للفنون  
المطبعية بالجزائر عام 2012.

شكلا: كتاب ذو حجم متوسط يضم 196 صفحة، تتساوى فيه عدد صفحات  
المقدمة والخاتمة البالغ عددها سبع (07) صفحات، تتوسطها ثلاثة محاور مجزأة  
بالتساوي في الحجم.

أما الغلاف وواجهة الغلاف: فهو ينم عن استراتيجية ذكية في التوزيع بين  
الجانبين اللساني والايقوني، إذ يتوسط الغلاف عنوان مركب من ثلاث كلمات:

### *سلطة، صحافة وحقوق الانسان*

وهو توزيع لم يأت عبثا، بل كان مدروسا، حيث توسطت لفظة "الصحافة"  
كل من اللفظين "السلطة" و"حقوق الانسان" لما لهذه الكلمة من دلالة على دور  
الحارس والمدافع عن لحقوق الانسان من جهة، ودور المعارض والموجه لممارسة  
السلطة تجاه تلك الحقوق من جهة ثانية. تحيط بالعنوان -إيقونيا- أسلاك شائكة  
في رمزية تشير إلى أن موضوعات الثلاثة من الموضوعات الحساسة والشائكة والتي  
ينبغي التعامل معها بحذر، كما نجد أسفل الغلاف قلم من النوع الرفيع والأنيق  
وهو رمز للصحافة الملتزمة .

يتخلل العنوان خطوط عشوائية في أعلاها عند غياب هذا القلم، وفي أسفلها  
خطوط منتظمة وواضحة ساهم هذا الأخير في سطرها، وما هذا القلم إلا تلك  
الصحافة التي يناشدها الأستاذ الراحل براهيم.

في آخر الكتاب نجد كلمة الناشر، حيث عرف فيها بظروف كتابة الدراسة مع  
تقديم نبذة عن حياة البروفيسور براهيم براهيم الأكاديمية.

بداية الكتاب ونهايته: كانت بدايته مقولة مشهورة لـ"نوال لوبان"، و نهايته عبارة عن أمنية للمؤلف والأستاذ براهيمي، أما المقولة فهي تعريف للسياسة ولأهمية الصحافة في توجيه تلك السياسة نحو مسارها الصحيح، أما أمنيته فهي حلم بربيع جديد للجزائر تساهم الصحافة المستقلة في تحقيقه، حيث يدعو المؤلف إلى تكوين الصحفيين بتدريسهم أخلاقيات الصحافة المستقلة).

### مضامين الكتاب:

#### مقدمة:

جاءت المقدمة في سبع صفحات أشار فيها الباحث إلى كتابه الأول الصادر عن دار النشر Harmattan، عام 1990، والموسوم بـ "الصحافة والمثقفون في الجزائر"، تناول فيه العلاقة الجدلية بين السلطة، الصحافة والمثقفين في الفترة الممتدة 1962-1988 حيث انتقد فيه استحواد السلطة الحاكمة على الفضاء العمومي وسيطرتها على مؤسسات الدولة. أما الكتاب موضوع القراءة، فهو كتاب مخصص للفترة الممتدة ما بين 1989/1995، وهي مرحلة تميزت بالانفجار المذهل للحريات 1989/1991 بتحدي المجتمع المدني للسلطة الحاكمة من خلال مظاهرات شعبية أرضخت السلطة وأدت إلى إقالة الرئيس الشاذلي بن جديد والإعلان عن حالة الطوارئ ابتداء من 09/02/1992.

يتمحور موضوع الكتاب حول دراسة تطور النظام السياسي بالموازاة مع الحقل الإعلامي ومسألة حقوق الانسان. فعلى المستوى السياسي، شهدت الفترة إعادة تشكيل الأحزاب السياسية وتعرض الحزب الحاكم "جبهة التحرير الوطني إلى هزيمة شنعاء من قبل الجبهة الإسلامية للإنقاذ بداية بالانتخابات البلدية في جوان 1990 وصولاً إلى الانتخابات التشريعية ديسمبر 1991، هذا الحزب الذي تعرض للتهميش من طرف السلطة التي نجحت في محاصرته وتجميد نشاطه بتنظيم

الانتخابات الرئاسية رغم نداءات مقاطعتها من طرف الجبهة الإسلامية للإنقاذ، الجبهة الاشتراكية الاجتماعية، الحركة الديمقراطية الجزائرية. هذه التحولات التي رافقها بروز الصحافة المستقلة وتطور حقوق الإنسان في الجزائر.

### المحور الأول:

معيقات الحزب الواحد واستحواذ السلطة على المجال الثقافي وتمهيش

#### الحرية الفردية

تطرق المؤلف في هذا المحور إلى أهم العوامل التي ساهمت في اندلاع أحداث أكتوبر 1988، وأنها عكس ما كان تشيعه السلطة أن المظاهرات كانت نتيجة الأوضاع المعيشية الاجتماعية المأساوية والحاجة إلى إثبات الهوية الوطنية، مؤكداً أن الانفجار جاء نتيجة لكبت الحريات الفردية.

ولتأكيد هذه الحقيقة، قدم إبراهيم براهيم تحليلًا لوضع الحريات في ظل المواثيق الوطنية، ميثاق صومام 1956، ميثاق الجزائر في 1962، الميثاق الوطني 1976، والدستورين 1963، و1976، وقانون الإعلام 1982، وهي الوثائق التي تؤكد السيطرة الشاملة للسلطة على وسائل الاتصال الجماهيرية التي تمركزت جميعها في يد الحزب الواحد "جبهة التحرير الوطني".

### المحور الثاني:

بروز المجتمع المدني وترسيخ المبادئ الأولى للديمقراطية

سقط العديد من الضحايا في أحداث أكتوبر 1988، الأمر الذي هز أركان السلطة التي سعت إلى تطويق الوضع من خلال إجراءات سريعة، وكانت لكل من رابطة حقوق الإنسان وحركة الصحفيين الجزائريين دور في ظهور دستور 1989، وقانون الإعلام، ومن جهته، تمكن المرصد الوطني لحقوق الإنسان من فضح

السياسة الإجرائية المنتهكة ضد الجزائريين في 11/10/1988 مما دفع بالسلطة في 20 أكتوبر مقاضاة منتسبي الجرائم مستغلة الصحافة في فضح تلك الممارسات، هذه الفضائح التي دفعت السلطة إلى انشاء المرصد الوطني للإنسان 1990، فبعد المصادقة على الدستور 1989 وقانون الجمعيات السياسية 1989/07/05، سعت الأحزاب السياسية المعارضة إلى انشاء مجلات شهرية بطاقة نشر 100.000 نسخة.

### تداعيات مظاهرا أكتوبر سياسيا:

ينص دستور 1989/02/23 أن الدستور فوق الجميع، وهو القانون الأساسي الضامن للحقوق والحريات الفردية والجماعية وقد اعتبره معظم المحللين دستورا انتقاليا يعد مخرجا حاسما في مجال الحريات العمومية بصفة عامة وحرية الإعلام بصفة خاصة، ويعد ثورة في تاريخ المؤسسات الجزائرية إذ تعترف السلطة للمرة الأولى بحق انشاء الجمعيات ذات الطابع العمومي.

وقد نصت المادة 39 منه على أن حرية التجمع مضمونة للمواطن، وأن لهذا الأخير الحق في مقاضاة كل من يعرقل حقه في حرية من الحريات المنصوص عليها في الدستور وذلك في مادته 48، إضافة إلى الحق النقابي المنصوص عليه في مادته 53. أعطت مواد حرية التعبير دفعا قويا في إعطاء المشرع لقانون الإعلام 1990/4./3. هم من ثمار مظاهرات أكتوبر 1988.

### تداعيات مظاهرات أكتوبر إعلاميا :

بعد المصادقة على دستور فيفري 1989 وقانون الجمعيات السياسية جويلية 1989، عملت الأحزاب السياسية المعارضة على تأسيس مجلات شهرية بطاقة سحب تفوق 100.000 نسخة، وإصدار الصحف باللغتين العربية والفرنسية، منها "البديل" لحزب "بن بلة" باللغتين، و"صوت الشعب" لحزب "الباكس" بالموازاة مع "الجي ريببليكان"، إضافة إلى حزب "الأرسيدي" الذي دعم

أربع مجلات، منها ثلاث بالفرنسية، "المصير" و"أسالو" باللغة الأمازيغية". ومن جهته أصدر كل من حزب "الأفاس" جريدة "الجزائر الحرة"، حزب "الفييس" جريدتي "المنقذ" و"الفرقان"، وحزب "حماس" جريدة "النبأ". إلا أنه ابتداء من 04 مارس 1992، وبعد حل "الفييس" مباشرة، شهدت الصحف المستقلة تذبذبا في النشر، مع إبقاء السلطة -حسب إبراهيم براهيم- سيطرتها على الصحف التي كانت موجودة قبل أكتوبر 1988 (6 يوميات و بعض الجرائد الأسبوعية ) يضاف إليها جريدتين ظهرتتا بعد الأحداث وهما "السلام" و "النهار".

ويؤكد الكاتب أنه بالرغم من الوضع غير المستقر نسبيا، إلا أن الساحة الإعلامية قد شهدت توسعا مطردا للصحافة المستقلة في الجزائر منذ مطلع التسعينات لعدة أسباب أهمها:

1- استجابة هذه الصحافة لتطلعات المجتمع المدني، إذ وجد هذا الأخير متنفسه للتعبير في مجالات مختلفة بعدما كان ذلك ضمن المحظورات التي يعاقب عليها القانون،

2- قربها من الجمعيات التي تمثل المجتمع المدني خاصة النقابات وجمعيات حقوق الانسان،

3- استنادها على قوة الجمعيات والشركات العمومية التي تضم أكثر من 400 مدير، حيث وجد مجال الإشهار لتمويل منتجاتها، لاسيما و أن سمعة الصحافة المستقلة وقدرتها العالية على النشر كانت عاملا أساسيا في اختيار المديرية لها لإشهار منتوجاتها .

4- استطاعت بعض الصحف استغلال مبدأ "الأشباع" لتحقيق نجاح واسع لا سيما تلك الصحف التي اهتمت بسرد الحوادث الأليمة، ويكفي أن جريدة "لوسوار"

قد حققت سقف النشر إذ بلغ عدد النسخ الصادرة يوميا سنة 1992 حوالي 200.000 نسخة.

لينتهي الكاتب في هذا المحور إلى التصريح بأن هذا المظهر والتطور المشرف للصحافة المستقلة أخفى وراءه عراقيل عديدة ومتعددة.

### الصحافة المستقلة وصعوبتها:

من أهم النتائج في مجال الحريات والإعلام هو ميلاد الجزائر المستقلة، هذه الجزائر التي كانت تديرها جمعيات الصحفيين استطاعت أن تفرض وجودها وتحقق نسبة نشر فاقت الصحف الوطنية التابعة للدولة (رغم أن الدولة حصرت تمويلها وقد بلغ معدل سحب جريدتي "الوطن" و "لوسوار دالجيري" 100.000 نسخة يوميا تضاف إليهما جريدة "الخبر" اليومية.

### خاتمة:

ختاما، يعد كتاب "السلطة، الصحافة وحقوق الانسان في الجزائر " من أجود الكتب التي حاولت تقديم تحليل ثلاثي الأبعاد لفترة حاسمة من تاريخ الجزائر عرف فيها السياسي والاجتماعي والثقافي غليانا أفرز الصحافة المستقلة كمسار جديد في تطور الصحافة في الجزائر. وإذا كانت مظاهرات أكتوبر 1988 وبالأعلى الجزائريين من خلال عدد الموتى والضحايا الذين سقطوا حينها، إلا أنها نعمة من حيث الحريات وحقوق الإنسان التي جاءت بعد مخاض عسير.

وفي الأخير، نود الإشارة إلى تساؤلات رافقت قراءتنا لكتاب الراحل البروفيسور إبراهيم ابراهيمي، وهي استفسارات ستظل مفتوحة إلى أن نجد من يهتم بالإجابة عنها:

أولاً: إذا كان الكتاب قد تم تدوينه في 1996، لما انتظر الباحث مدة ستة عشر سنة 16 لنشره؟ وهل لتاريخ إصدار الكتاب علاقة بتاريخ إعلان نهاية حالة الطوارئ في فيفري 2011؟

ثانياً: إذا كانت كل دراسة أكاديمية تقتضي مصادر ومراجع، لماذا جاء الكتاب خال منها؟